الدَّارُ الآخِرَةُ

(٥)

قَالُوا عِنْدَ الْمَوْتِ

للشيخ / ندا أبو أحمد

الدَّارُ الآخِرَة
قَـالُوا عِنْدَ المَوْت

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.....

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

موت خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام

جاء في "فتح الباري" لابن حجر رحمه الله:

"أتى ملكُ الموتِ إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه، فجلس أمامه، فقال له إبراهيم: ماذا تريد؟ قال: أقبض روحك، قال: وهل خليل يقبض روح خليله؟ فقال الملك: وهل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله ! فسكت إبراهيم عليه السلام فقُبِضَتْ روحه"

موت الحبيب (ﷺ)

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"ما من نبي يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة، قالت: فلما كان في مرض النبي الذي قُبِضَ فيه أخذته بحة شديدة، فسمعته يقول: { مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً} [النساء:٦٩] فعلمت أنه قد خُيِّر"

موت أبو بكر الصديق رضي الله عنه

***جاء في كتاب "الزهد" للإمام أحمد وابن سعد في "الطبقات، وصفة الصفوة" عن أبي السفر قال:* مرض أبو بكر رضي الله عنه فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني، قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد"**

وفي نفس المصدر عن البهي مولى مصعب بن الزبير قال:

"لما احتضر أبو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي:{وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: ١٩]، انظروا ثَوْبَيَّ هذين، فاغسلوهما، وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت، ومضى أبو بكر رضي الله عنه إلى ربه".

موت الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخرج البخاري عن عمرو بن ميمون قال: "لما طُعِنَ عمر ﷺ قال: يا بن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة. فقال: الصَّنع[1]، قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرتُ به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام، فدخلوا عليه وفيهم رجلٌ شاب، فإذا إزاره يمسُّ الأرض، فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أبقى (أنقى) لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام . ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً – وقل: يستأذن عمر أن يُدْفَن مع صاحبيه. فمضى وجاء فقال: أذِنَتْ، فقال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إليّ من ذلك، فإذا أنا قُبِضتُ فاحملوني، ثم سلِّم وقل: يستأذن عمر، فإن أذِنَتْ لي فأدخلوني، وإن ردَّتْنِي فردوني إلى مقابر المسلمين".

وفي "حلية الأولياء" (٥٢/١) و"مصنف ابن أبي شيبة" (٢٧٦/١٣) عن ابن عمر ﷺ قال: "كان رأس عمر في حجري في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع خدي على الأرض، فقلت: وما كان عليك كان في حجري أو على الأرض؟ فقال: ضعه لا أمَّ لك! فوضعته، فقال: ويلي... ويل لأمي إن لم يرحمني ربي"

وجاء في "مناقب عمر بن الخطاب" لابن الجوزي (صـ ٢٢٤) عن ابن عباس ﷺ قال:
"لما طُعِنَ عمر – رضوان الله عليه– دخلت عليه فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين، فإن الله قد مَصَّرَ بك الأمصار، ودفع بك النفاق، قال عمر: أفي الإمارة تثني علي يا ابن عباس؟ فقلت في غيرها، فقال: والذي نفسي بيده، لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر".

(1) تُطْلَق على مَن كان له صنعة يعملها بيده ويكتسب منها الدَّنف.

وجاء في "حلية الأولياء"(١/٥٢) و"مصنف ابن أبي شيبة"(١٣/٢٧٦) عن ابن عباس ﷺ قال: لما طُعِنَ عمر ﷺ قلت له: أبشر بالجنة، فقال: والله لو كان لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر".

- *وفي رواية:* "لما طُعِنَ عمر ﷺ جاء ابن عباس ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقُتِلْتَ شهيداً ولم يختلف عليك اثنان، وتُوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فقال له: أعد عليّ مقالتك فأعاد عليه، فقال: المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع".

(وصايا العلماء: صـ ٣٨)

وفى رواية أخرى عن ابن عباس ﷺ أنه قال:

"يا أمير المؤمنين، والله إن كان إسلامك لنصراً، وإن كانت إمارتك لفتحاً، والله لقد ملأت الأرض عدلاً، ما من اثنين يختصمان إليك إلا انتهيا إلى قولك، فقال: عمرﷺ أجلسوني، فلما جلس قال لابن عباس: أعد عليَّ كلامك، فلما أعاد عليه، قال: أتشهد لي بهذا عند الله ﷻ يوم القيامة؟ فقال ابن عباس: نعم، ففرح عمر بذلك وأعجبه"

(مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – لابن الجوزي)

وفي نفس المصدر عن المسور بن مخرمة قال:

"لما طُعِنَ عمر بن الخطاب ﷺ جعل يغمى عليه، فقيل: إنكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة، إن كانت به حياة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، الصلاة قد صُلِّيت، فانتبه، فقال: الصلاة هاالله إذاً، ولا حظَّ في الإسلام لمَن ترك الصلاة، فصلَّى وجرحه يثعب دماً".

موت ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ أمير البررة وقتيل الفجرة

عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان قال:

"إن عثمان بن عفان ﷺ أعتق عشرين مملوكاً له، ودعا بسراويل فشدها عليه – ولم يلبسها في جاهلية أو إسلام – وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقُتِل وهو بين يديه"

(قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٣٢/٧): رواه عبد الله وأبو يعلى في الكبير)

وفاة علي بن أبي طالب ﷺ أمير المؤمنين

عن محمد بن علي بن أبي طالب: "أن علياً لما ضُرِبَ أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ(لا إله إلا الله) حتى قبضه الله".

(الثبات حتى الممات: صـ ١٠٣)، (كتاب المحتضرين: صـ ٦١)

عبد الرحمن بن عوف ﷺ

عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال:

"غُشِيَ على عبد الرحمن في وجعه حتى ظنوا انه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده وجلَّلوه، فأفاق يُكبِّر، فكبَّر أهل البيت، ثم قال: لهم: غُشِيَ عليَّ آنفاً؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم! انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهراً"

(أخرجه الحاكم بسند صحيح)

سعد بن أبي وقاص

عن ابن شهاب الزهري: "أن سعد بن أبى وقاص لما حضرته الوفاة، دعا بخَلَق جبه له من صوف، فقال: كفِّنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنتُ أُخبِّئُها لهذا اليوم"

وعن مصعب بن سعد أنه قال:

"كان رأس أبي في حجري وهو يقضي، فبكيت، فرفع رأسه إليَّ فقال: أي بني. ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك، قال: لا تبكِ فإن الله لا يعذبني أبداً وإني من أهل الجنَّة"

قال الذهبي: "صدق والله فهنيئاً له" (سير أعلام النبلاء)

بلال ابن أبي رباح ﷺ

"لما حضرت بلال ﷺ الوفاة، قالت امرأته: واحزناه، قال: بل واطرباه، غداً نلقى الأحبة... محمداً وحزبه"

عن سعيد بن عبد العزيز قال: قال بلال حين حضرته الوفاة: غداً نلقى الأحبة... محمداً وحزبه، قال: تقول امرأته: وابلالاه، قال: يقول هو: وافرحاه"

(الثبات عند الممات صـ ١٠٨)، (السير:١/٣٥٩)،(كتاب المحتضرين: صـ ٢٠٧)

موت عبد الله بن مسعود ﷺ

جاء في "سير أعلام النبلاء" (١/٤٩٨) عن أبي ظبية قال:

"مرض عبد الله بن مسعود، فعاده عثمان، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه"

وفي رواية أخرى: قال له عثمان: كيف تجدك؟ قال عبد الله بن مسعود: مردود إلى مولاي الحق، قال له عثمان: طيباً – أو طبت–" (كتاب المحتضرين: صـ ٢٢٢)

موت أبي هريرة ﷺ

جاء في "كتاب الزهد" لابن المبارك (ص٣٨)، و"السِّيَر"(٢/٥٧٨) عن سلمة بن بشير:

"أن أبا هريرة ﷺ بكى في مرضه، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفري، وقلة زادي، وأني أمسيت في صُعود، ومهبطُه على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بي"

وجاء في "طبقات ابن سعد" (٤/٣٣٩) و"السِّيَر" (٢/١٢٥):

"أنه دخل مروان على أبي هريرة ﷺ في شكواه الذي مات فيه، فقال: شفاك الله، فقال أبو هريرة: اللهم إني أحبُّ لقاءك فأحبَّ لقائي، فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات أبو هريرة ﷺ"

وكذا قال سلمان الفارسي عند موته ما قاله أبو هريرة ﷺ

فقد جاء في "كتاب المحتضرين" (صـ ٢٢٣) عن الحسن قال:

"بكى سلمان عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضِنّاً[1] بدنياكم، ولا جزعاً من الموت، ولكن قلة الزاد، وبُعْد المفاز"

موت أبي الدرداء ﷺ حكيم الأمة

جاء في "صفة الصفوة" (١/٦٤٢) عن أبي مسلم قال:

"جئتُ أبا الدرداء وهو يجود بنفسه، فقال: ألا رجلٌ يعمل لمثل مصرعي هذا!، ألا رجلٌ يعمل لمثل يومي هذا؟! ألا رجلٌ يعمل لمثل ساعتي هذه؟!، ثم قُبِضَ"

وفي "طبقات ابن سعد" (٧/٢٩٣) و"الزهد" للإمام أحمد (١٣٤) عن معاوية بن قرة:

"أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه، فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنَّة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو أضجعني"

(1) ضَنّاً: بفتح الضاد وكسرها: أي بخلاً وحرصاً.

وكذا قال: حذيفة بن اليمان ﷺ عند موته

جاء في "كتاب الحلية" (١/٢٨٢)، و"صفة الصفوة" (١/٦١٤) عن أسد بن وداعة قال:

لما مَرِض حذيفة مرضه الذي مات فيه، قيل له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنَّة، قالوا: فما تشتكي؟ قال: الذنوب، قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، لقد عشت فيكم على خلال ثلاث: لَلْفقر فيكم أحب إليّ من الغنى، وللضّعة فيكم أحبُّ إليّ من الشرف، وإن مَن حمدني منكم ولامني في الحق سواء، ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟ قالوا: نعم، قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم"

وفي رواية أخرى في "الحلية": عن زياد – مولى ابن عباس – عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: "دخلنا علي حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللهم إنك تعلم لولا أني أرى أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، واختار الذلة على العز، واختار الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح مَن ندم".

معاذ بن جبل ﷺ

ففي "حلية الأولياء" و"كتاب الزهد" للإمام أحمد عن عمرو بن قيس قال:

"إن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ فقيل له: لم نصبح حتى أُتِيَ فقيل له: قد أصبحت، قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت مرحباً زائر مُغِبّ[1] حبيب جاء على فاقة، اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار[2] ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات [3] ومزاحمة العلماء بالرُّكب عند حِلَقِ الذِّكْر".

(1) زائر مُغِبّ: المَغَبَّةُ: عاقبته وآخرته، يقال لهذا لهذا الأمر مغبة طيبة.
(2) حفرها وشقها.
(3) أي صيام الصيف وقيام الليل في الشتاء.

جعفر بن أبي طالب ﷺ

"التقى المسلمون في غزوة مؤتة مع عُبَّاد الصُلْبان، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قُتِل، اقتحم جعفر على فرسٍ له شقراء ثم عقرها، فكان جعفر أول المسلمين عَقَرَ في الإسلام، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ، وهو يقول:

يا حبذا الجنَّة واقترابها طيبةٌ وباردٌ شرابُها
والروم رومٌ قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
على إن لقيتها ضِرابها

عمّار بن ياسر ﷺ

جعل يقول في صفين: أزفت الجنان وزُوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمداً ﷺ وقال: أئتوني بشربة لبن قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: " إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن، ثم تَقَدَّمَ فقُتِل".

موت عُمير بن الحَمَام أول شهيد من الأنصار في الإسلام

أخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ يوم بدر:

"قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال عمير: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: نعم. قال: عمير بخٍ... بخٍ[1]، فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك: بخٍ... بخٍ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، فإنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِلَ"

(1) - بخٍ... بخٍ: كلمة تطلق لتعظيم الأمر وتفخيمه.

استشهاد عبد الله بن جحش بن رياب ﷺ

جاء في "حلية الأولياء" (١/١٠٨) و"صفة الصفوة" (١/٣٨٤) عن سعد بن أبي وقاص:

"أن عبد الله بن جحش قال له يوم أُحُد: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية، فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إذا لقيت العدو غدًا فلقِّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله، مَن جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت، قال سعد: لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط"

موت عامر بن فهيرة ﷺ

جاء في "كتاب الثبات عند الممات" (صـ١٠٧)، و"طبقات ابن سعد" (٣- ٢٣١):

"لما طعنَ جبارُ بن سُلْمَى عامرَ بن فهيرة فأنفذه، قال عامر: فزت والله، قال: وذُهب بعامر عُلُوا في السماء حتى ما أراه، فقال رسول الله ﷺ: إن الملائكة وارت جثته وأُنْزِل عليين، وسأل جبار بن سلمي ما قوله: فزت والله؟ قالوا: الجنة، قال: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة، فحَسُنَ إسلامه، قالت عائشة ﷺ رُفِعَ عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته، يروْن أن الملائكة وارته"

وكذا قال حرام بن ملحان ﷺ عندما طُعِنَ:

فقد أخرج البخاري عن أنس ﷺ قال:

لما طُعِنَ حرام بن ملحان – وكان خاله – يوم بئر معونة، قال: بالدم هكذا، فنضحه عن وجهه ورأسه، ثم قال: فزتُ وربِّ الكعبة"

موت أنس بن النضر ﷺ

أخرج البخاري بسنده عن أنس ﷺ قال:

"لما كان يوم أُحُد وأنكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنَّة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدناه قد قُتِلَ وقد مَثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى – أو نظن – أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} ... إلى آخر الآية

[الأحزاب:٢٣]

موت سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري ﷺ

أخرج الحاكم عن زيد بن ثابت ﷺ قال:

بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحُد لطلب سعد بن الربيع ﷺ وقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: " يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في أخر رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله ﷺ وعليك السلام، قل له: أجدني أجدُ ريح الجَّنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر [1] (عين) يطرف"

ففيم فكَّر هذا المحب الصادق في آخر لحظات حياته؟ وماذا شغل باله؟ وبماذا أوصى قومه وهو يودعهم مرتحلا عن هذه الدنيا وما فيها، من أهل وأولاد ومتاع

الأمر الذي شغل باله هو سلامة حبيبه حبيب رب العالمين ﷺ والوصية التي أوصى بها قومه هي: أن يبذل كل واحد منهم نفسه فداء لرسول الله ﷺ.

(1) شُفر: بالضم وقد يفتح: وهو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر.

موت سعد بن خيثمة الأنصاري ﷺ

وهو أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ***ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر، قال له أبوه خيثمة:*** "إنه لابد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك، فأبَى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما فخرج سهم سعد، فخرج فقُتِلَ ببدر"

(صفة الصفوة:١-٤٦٨) و(طبقات بن سعد:٣- ٤٨٢) و(الثبات عند الممات: صـ ١١١)

موت عمرو بن الجموح سيد بني سلمة ﷺ

كان ﷺ أعرجاً فلم يشهد بدراً، فلما حضرت أُحُد أراد الخروج فمنعه بنوه، وقالوا: قد عذرك الله؛ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بَنِيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج، وإني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنَّة، فقال: أما أنت فقد عذرك الله، وقال لبنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله ﷻ يرزقه الشهادة، فتركوه، قالت امرأته: فكأني أنظر إليه مُوليا قد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا ترُدَّنِي إلى حزبي، وهي منازل بني سلمة، فقُتِلَ هو وابنه خلاد، فمرَّ رسول الله ﷺ عليه، فقال: فكأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنَّة"

(الثبات عند الممات: صـ ١٢٦)

موت خبيب بن عدي ﷺ

لمَّا وقع خبيب في أسر المشركين **خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلّ، قال: لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدتُ، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبقي منهم أحداً، *ثم أنشأ يقول:***

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنبٍ كان لله مصرعي

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ ... يبارك علي أوصالِ شلوٍ مُمَزَّعِ[1]

ثم قام إليه سِرْوعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلم قُتِل صبراً الصلاة"

(أخرجه البخاري)

(1) أوصال: جمع وصل، وهو العضو. ـ الشِّلو: الجسد، وقد يطلق علي العضو، ولكن المراد به الجسد. ـ المُمَزَّعِ: المُقَطَّع.

موت زيد بن الدثِنَة ﷺ

استؤثر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل، فقالوا: ننشدك الله أتحبُّ أنك الآن في أهلك، وأن محمداً مكانك، فقال: والله ما أحبُّ أن محمداً يشاك في مكانه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي"

(صفة الصفوة:١- ٦٤٩)، والثبات عند الممات: صـ ١٢٨)

موت البراء بن مالك ﷺ

جاء في كتاب "صفة الصفوة"(١-٦٢١)، و"الثبات عند الممات"(صـ ١٢٥) عن أنس ﷺ

قال: "لقى أخي البراء زحفاً من المشركين (الفُرْس) فقال: أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيّ ﷺ فمنحوا أكتافهم وقُتِلَ شهيداً

وعند الطبراني: "اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني"

ورزقه الله الشهادة يوم فتح (تُسْتَر) فرضي الله عنه، ***وهو الذي قال فيه النبي ﷺ:***

"كم من أشعث أغبر ذي طِمرين لا يُؤْبَهُ له، لو أقسم على الله لأبرّه، منهم البراء بن مالك"

(أخرجه الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع:٤٥٧٣)

موت خالد بن الوليد ﷺ

جاء في كتاب "السِّيَر" (١/٣٨٢) عن أبي الزناد:

"أن خالد بن الوليد لما احتضر بكى، وقال: لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت علي فراشي حتف أنفي كما يموت العيرُ فلا نامت أعينُ الجبناء"

موت عبادة بن الصامت ﷺ

عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال:

"لما حضرت عبادة بن الصامت الوفاة، قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن، يعني إلى الدار، ثم قال: اجمعوا لي مواليّ، وخدمي وجيراني، ومَن كان يدخل عليّ، فجمعوا له فقال: إن يومي هذا لأراه إلا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده، القصاص يوم القيامة، وأحرّج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي، فقالوا: بل كنت والداً، وكنت مؤدباً، قال: وما قال لخادم قط سوءاً، فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم. فقال: اللهم اشهد"

(وصايا العلماء عند الموت: صـ ٤٨- ٤٩)

وفاة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة ﷺ

عن ابن أبي مليكة: أن ذكوان أبا عمرو حدثه فقال:

"جاء ابن عباس ﷺ يستأذن علي عائشة، وهي في الموت، فقال: عبد الله (ابن أخيها عبد الرحمن) فجئتُ عند رأسها فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، قالت: دعني من ابن عباس، لا حاجة لي به، ولا تزكيته، فقال: عبد الله يا أمة إن ابن عباس من صالحي بنيك، يودِّعك ويسلِّم عليك، قالت: فائذن له إن شئت، قال: فجاء ابن عباس فلما قعد، قال: أبشري فوالله ما بينك وبين أن تُفارقي كل نصب، وتلقي محمد ﷺ والأحبة، إلا أن تفارق روحك جسدك، قالت: إِيْهاً، يا ابن عباس! قال: كنتِ أحب نساء رسول الله ﷺ– يعني إليه – ولم يكن يُحب إلا طيباً، سقطت قلادتك ليلة الأبواء، وأصبح رسول الله ﷺ ليلتقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله: { فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً } [النساء:٤٣]

فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرُّخصة، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات، فأصبح ليس مسجد من مساجد يُذكَرُ فيها الله إلا براءتُك تُتْلَى في آناء الليل والنهار، قالت: دعني عنك يا ابن عباس، فوالله لوددت أني كنت نسياً منسياً"

(طبقات بن سعد:٨-٧٥) و(كتاب المحتضرين: صـ ١٥٩) و(السير)

أبو عبيدة بن الجراح ﷺ

جاء في "الرياض النضرة" (٣٥٨/٤) عن سعيد بن المسيب ﷺ قال:

"لما طُعِنَ أبو عبيدة بالأردن، دعا مَن حَضَره من المسلمين وقال: إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدَّقوا، وحجُّوا واعتمروا، وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن امرأً لو عَمَّر ألف حولٍ ما كان له بد من أن يصير إلي مصرعي هذا الذي ترون، إن الله تعالى كتب الموت على بني آدم فهم ميتون، فأَكْيَسَهُم أطوعهم لربه وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله، يا معاذ بن جب ل صَلِّ بالناس"

موت عبد الله بن عمر ﷺ

عن سعيد بن جبير قال:

لما حضر ابن عمر ﷺ الموت قال: ما آسي علي شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا – يعني الحجاج –

وكذا قال عامر بن قيس عند الموت

موت حكيم بن حزام ﷺ

جاء في "كتاب السير" (٣- ٤٤)

أنه دُخِل على حكيم عند الموت، وهو يقول: "لا إله إلا الله" قد كنتُ أخشاك، وأنا اليوم أرجوك" "أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي..." الحديث

موت عبد الله بن سعد بن أبي سرح ﷺ

عن يزيد بن أبي حبيب قال:

لما احتضر ابن أبي سرح وهو بالرملة، وكان خرج إليها فارّاً من الفتنة، فجعل يقول من الليل: أصبحتم؟ فيقولون: لا، فلما كان عند الصباح قال: يا هشام! إني لأجد برد الصبح فانظر، ثم قال: اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح، فتوضأ، ثم صلَّى، فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، وسلَّم عن يمينه وذهب يُسلِّم عن يساره فقُبِض ﷺ" (السير: ٣٣:٣٦/٣)

موت معاوية بن أبي سفيان ﷺ

قال أبو عمرو بن العلاء:

"لما احتضر معاوية، قيل له: ألا تُوصِي؟ فقال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلَّة، وتجاوز بحلمك عن جهل مَن لم يرجُ غيرك، فما وراءك مذهب وقال:

هو الموت لا مَنْجَى من الموتِ والذي نُحاذِرُ بعد الموتِ أَدْهَى وأفظعُ

(السير في ترجمة معاوية:٣/١١٩-١٦٢)

قال الحسن البصري ﷺ: "دُخِل على معاوية وهو بالموت، فبكى، فقيل ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على الموت أن حلَّ بي، ولا على دنيا أخلفها، ولكن هما قبضتان: قبضة في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أي القبضتين أنا" **(كتاب المحتضرين: صـ ٧١)**

وفي رواية أنه لما حضرته الوفاة قال: أقعدوني فأقعدوه، فجعل يذكر الله تعالى ويُسبِّحه ويُقدِّسه، ثم قال مخاصماً نفسه: الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهدام! ألا كان ذلك وغصنُ الشباب نضير ريَّان، وبكى حتى علا بكاؤه، ***ثم قال:***

هو الموت لا مَنْجَى من الموتِ والذي نُحاذِرُ بعد الموتِ أَدْهَى وأفظعُ

ثم قال: يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة، واغفر الزلة، وجد بحلمك على مَن لم يرجُ غيرك، ولا وثقَ بأحدٍ سواك

وفي رواية أنه جعل يجود بنفسه ويقول:

إن تناقش يكن نقاشُكَ يا رب عذاباً لا طوقَ لي بالعقاب

أو تجاوز فأنت ربِّي رحيمٌ عن مسيءٍ ذنوبه كالتراب

("حسن الظن بالله" لابن أبي الدنيا صـ ٩٠)، (البداية والنهاية: ٨- ١٥٤) و(كتاب المحتضرين: صـ ٧١)

موت العباس بن عبد المطلب ﷺ

عن عبد الله بن إبراهيم القرشي قال: لما نزل بالعباس بن عبد المطلب قال لابنه:

يا عبد الله، إني والله ما مت موتاً، ولكني فُنِيتُ فناء، وإني موصيك بحب الله وحب طاعته، وخوف الله وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإني أستودعك الله يا بني، ثم استقبل القبلة فقال: "لا إله إلا الله" ثم شخص ببصره فمات"

(كتاب المحتضرين: صـ ١٢٥) و(مختصر تاريخ دمشق: ١١-٣٥٢)

موت يزيد بن الأسود

عن حيان أبي النضر قال: قال لي واثلة بن الأسقع: قُدني إلى يزيد بن الأسود، فإنه قد بلغني أنه لما به (أي من حضوره الموت)، قال: فقدته، فدخل عليه وهو ثقيل، وقد وُجِّه (أي نحو القبلة)، وقد ذهب عقله، قال: فنادُوه، فقلت: إن هذا واثلة أخوك، قال: فأبقى الله من عقله ما سمع أن واثلة قد جاء، قال: فمدَّ يده فجعل يلمس بها، فعرفت ما يريد، فأخذت كف واثلة فجعلتها في كفِّه، وإنما أراد أن يضع يده في يد واثلة، لموضع يد واثلة من رسول الله ﷺ، فجعل يضع مرة على صدره ومرة على وجهه، ومرة على فِيهِ، فقال واثلة: أما تخبرني عن شيء أسألك عنه؟ كيف ظنك بالله؟ قال: أغرقتني ذنوبٌ وأشفيت (اقتربت) على هلكةٍ: ولكن أرجو رحمة الله، فكبَّر واثلة وكبَّر أهل البيت تكبيرة، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء "**

(رواه ابن المبارك في "الزهد": صـ ٣١٨)، (والحاكم في "المستدرك":٤/٢٤٠)

عمرو بن العاص رضي الله عنه

ويروى أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما دنا منه الموتُ، دعا بُحَرَّاسه ورجاله، فلما دخلوا عليه قال: **"هل تغنون عنِّي من الله شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فاذهبوا وتفرَّقوا عني، ثم دعا بماء فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم قال: احملوني إلى المسجد، ففعلوا، فقال: اللهم إنك أمرتني فعصيتُ، وائتمنتني فخنتُ، وحدَّدتَ لي فتعديت، اللهم لا بريٌ فأعتذر، ولا قوى فأنتصر، بل مذنب مستغفر، لا مصر ولا مستكبر"**

("اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات" للشيخ عبد العزيز السلمان: صـ ١٤٤)

وفي رواية عن أبي نوفل قال:

"لما جدّ بعمرو بن العاص، وضع يده موضع الغلال – الأغلال – من رقبته، فقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعُنَا إلا مغفرتك، فكانت تلك هِجِّيراه[1] حتى مات"

(طبقات ابن سعد:٤/٢٦٠) و(الزهد لابن المبارك: صـ ١٤٧) و(المسند لأحمد:٤/٢٠٠)

(1) الهِجِّيرى: كثرة الكلام، وما يولع المرء بذكره.

هشام بن عبد الملك

جاء في "كتاب المُحتضرين" لابن أبي الدنيا عن إسحاق بن أبي عُمر الشيباني قال:

"لما احتضر هشام بن عبد الملك أبصر أهله يبكون حوله فقال: جاد عليكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حَمَلَ، ما أعظم متقلب هشام إن لم يُغْفَر له"

عبد الملك بن مروان

"لما حضرته الوفاة نظر إلى غسَّال بجانب دمشق يغسل ثوباً بيده، ثم يضرب به المغسل، فقال عبد الملك: ليتني كنت غسَّالاً آكل من كسب يدي يوماً بيوم، ولم آل من أمر الدنيا شيئاً، فبلغ ذلك أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنَ ما هم فيه"

وقيل له في مرض موته الذي مات فيه:

كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ} [الأنعام:٩٤]

هـــارون الـرشـيـد

"حُكِيَ عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ{٢٨} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ} [الحاقة:٢٨ .٢٩]

المأمـــون ﷺ

افترش رماداً واضَّجع عليه وقال: "يا مَن لا يزول ملكه، ارحم مَن قد زال ملكه"

موت أبي عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال:

"لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال، كان أول مَن جُرِحَ أبو عقيل، رُمِيَ بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فأخرج السهم فَوَهن له شقة الأيسر، وجُرّ إلى الرحل، فلما حمي القتال وانهزم المسلمون سمع معن بن عديّ يصيح: يا آل الأنصار، الله... الله والكرة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل، فقلت: ما تريد؟ قال: قد فَوَّه المنادي باسمي، فقلت: ما يعني الجَرْحَى، فقال: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْواً، فتَحَزَّم وأخذ السيف ثم جعل ينادي: يا آل الأنصار، كرةً كيوم حُنَيْن قال ابن عمر ﷺ فاختلفت السيوف بينهم فقطعت يده المجروحة من المنكب، فقلت: أبا عقيل! فقال: لبيك، بلسان مُلْتاث[1]، لمَن الدَّبْرَة؟[2] فقلت: أبشر قد قُتِل عدو الله[3]، فرفع رأسه، أو إصبعه إلى السماء يحمد لله، ومات ﷺ، قال ابن عمر: فأخبرتُ عمرَ، فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها"

موت سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ﷺ

وهو أحد القرَّاء الأربعة الذين أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم، فلما كان يوم اليمامة وانكشف صف المسلمين حفر سالم لنفسه حفرة، وتحنَّط بحنوطه وأمسك براية المهاجرين، فقالوا له: يا سالم، إنا نخشى أن نُؤْتَى من قِبَلَك، فقال ﷺ: بئس حامل القرآن إذاً أنا

قال ابن الجوزي: حضر اليمامة فأخذ اللواء بيمينه فقُطِعَتْ، ثم شالَه – أي رفعه – بشماله فقُطِعَتْ، ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ }** [آل عمران:١٤٤] إلى أن قُتِلَ"

وهكذا يموت سيد القُرَّاء في الميدان – مَن أوْلى بهذه منه، ***وقد قال فيه رسول الله ﷺ:***

" الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله " (أخرجه البزار)

---

(1) مُلْتاث: ثقيل، بطيء في الكلام.
(2) لمَن الدَّبْرَة: بفتح الباء وتسكن ويقال: على مَن الدَّبْرَة أيضاً: أي الهزيمة، ولمَن الدَّبْرَة: أي لمَن الدَّوْلة والظفر.
(3) أي مسيلمة الكذاب.

محمد بن سيرين

"ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلة عملي للجنَّة العالية، وما ينجيني من النار الحامية"

أبو عطية

"لما حضر أبا عطية الموتُ جَزِع، فقالوا له: أتجزعُ من الموت؟ فقال: ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة فلا أدري أين يسلك بي"

سليمان التيمي

"لما نزل الموتُ بسليمان التيمي قيل: أبشر فقد كنت مجتهداً في طاعة الله تعالى، فقال: ولا تقولوا هكذا، فإني لا أدري ما يبدو إلي من الله ﷻ، فإنه ﷻ يقول:

{ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}[الزمر:٤٧]

قال بعضهم: عملوا أعمالاً كانوا يظنون أنها حسنات فوجدوها سيئات

الفضيل بن عياض

"ولما حضرت الفضيل بن عياض الوفاة غُشِيَ عليه، ثم أفاق، وقال: يا بُعْدَ سفري وقلة زادي"

موت الأسود بن يزيد النخعي

عن علقمة بن مرثد قال:

كان الأسْودُ يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: مالي لا أجزع، والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله لأهمَّني الحياءُ منه مما قد صنعتُ، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحياً منه" ("السير": ٤/٥٠)

موت إبراهيم النخعي

عن عمران الخياط قال:

"دخلت علي إبراهيم أعوده وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا أبا عمران؟ قال: انتظر ملك الموت، لا أدري بالجنة يبشرني أم بالنار" ـ وفي رواية: "أنه لما احتضر إبراهيم، جزع جزعاً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: وأي خطر أعظم مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يَرِدُ عليَّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار، فجعل يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" فلما زاد ثقلاً جعل ينقضي حتى قال: لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله، ثم قال: والله لوددتُ أنها تلجلجُ في حلقي إلى يوم القيامةِ، ثم قضى".

("الزهد" لابن المبارك صـ ١٤٧) و("المصنف" لابن أبي شيبة: ١٣ / ٥٥١)
و("صفة الصفوة" ٣/٨٩) و("حلية الأولياء": ٤ /٢٢٤) و("كتاب المحتضرين" صـ ١٢١)

موت الحسن البصري ﷺ

عن كلثوم بن جابر قال:

"لما اشتد وجع الحسن بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: نُفيسة ضعيفة، وأمر هَوُول، وإنا لله وإنا إليه راجعون"

("كتاب المحتضرين": صـ ١٢٧)

قال الحافظ ابن رجب ﷺ: وكان يشتد خوف السلف من سوء الخاتمة، ومنهم مَن كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا"

روي أن سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم

فكان يبكي ويقول: "أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً ويبكي، ويقول: أخاف أن أُسْلَب الإيمان عند الموت".

وكان مالك بن دينار

يقوم طول ليله قابضاً على لحيته ويقول: "يا رب قد علمت ساكن الجنَّة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك؟"

موت العابدة التقية معاذة العدوية – رحمها الله -

كانت أم الصهباء معاذة العدوية تلميذة السيدة عائشة رضي الله عنها، إذا جاء النهار قالت:

"هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح، وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظُلْمة القبور، وكان زوجها أبو الصهباء ثابت البناني في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدَّم فقاتل حتى أحتسبكَ، فحمل فقاتل حتى قُتِل ثم تقدم فقُتِل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية، فقالت: مرحباً، إن كنتن جِئتُنَّ لِتُهَنِّئْنَنَى فمرحباً بكنّ، وإن كنتن جِئتُنَّ بغير ذلك فارجعن، وكانت تدعو أن يجمعها الله وزوجها في الجنَّة، فلما احتضرها الموت بكت، ثم ضحكت، فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ فمِمَّ البكاء ومِمَّ الضَّحِك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذِّكْر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تَبَسُّمِي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حُلَّتَان خضروان، وهو في نفرٍ والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً فضحكت إليه، ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً، فماتت قبل أن يدخل وقتُ الصلاة" (صفة الصفوة: (٢٢/٤) بتصرف)

موت العابدة أم عثمان بن سودة الطفاوي

عن عثمان بن سودة الطفاوي، وكانت أمُّهُ من العابدات، يقال لها: راهبة، قال:

"لما احتُضرت رفعت رأسها إلى السماء، فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا مَن عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري" (صفة الصفوة:٤٢/٤)

فرآها ذات ليلة في منامه، فقال لها: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بني إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد لله لفي برزخ محمود، نفترش فيه الريحان، ونتوسَّد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور"

موت السيدة الربَّانية الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد

كانت – رحمها الله – من الصالحات، زاهدة نقية تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله ﷻ، حتى قيل لها: ترفقي بنفسك لكثرة ما رأوا منها، فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟ تقول هذا وهي التي حجَّت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره، توفيت – رحمها الله – وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى:

{قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } [الأنعام:١٢] (مرآة النساء: صـ ٨٢)

فرحمة الله عليها، ***فقد قال النبي*** ﷺ: "مَن خُتِمَ له بصيام يومٍ دخل الجنة"

(رواه الإمام أحمد والبزار بسند صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع:٦٢٢٤)

وفي "المسند" أيضاً وعند الترمذى أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفِّقهُ لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه " (صحيح الجامع:٣٠٥)

موت عبد الرحمن بن الأسود النخعي رضي الله عنه

عن الحكم بن عتيبة قال: "لما احتضر عبد الرحمن بن الأسود بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفاً على الصوم والصلاة، قال: ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات، قال: فَرُئِيَ أنه من أهل الجنة، وكان الحكم يقول: ولا يبعد من ذلك، لقد كان يعمل نفسه مجتهداً لذلك، حَذِراً من مصرعه الذي صار إليه"

(كتاب المحتضرين: صـ ١٤٧) و(تهذيب الكمال:١٦/٥٣٢)

موت الربيع بن خثيم

عن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع بن خثيم: ألا ندعو لك طبيب، فقال: انظروا، ثم تفكَّر فقال: {وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً}[الفرقان:٣٨]، فذكر من حرصهم علي الدنيا ورغبتهم فيها، كانت فيهم مرضى، وكانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي، ولا المتداوي، هلك الناعت والمنعوت له" (كتاب المحتضرين: صـ ١٢١)("المصنف" لابن أبي شيبة: ١٣/٤٠٠)

وجاء في نفس المصدر السابق، و"حلية الأولياء": (٢/١١٤) عن سَرِيَّة الربيع قالت:

"لما احتضر الربيع بكت ابنته، فقال: يا بنية لا تبكي، ولكن قولي: يا بشرى، اليوم لقي أبي الخير"

موت عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ﷺ

دخل عمر بن عبد العزيز ﷺ علي ابنه في وجعه، فقال:

"يا بني كيف تجدك؟ قال: أجدني في الحق، قال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحبَّ إليّ من أن أكون في ميزانك، قال ابنه: وأنا يا أبه، لأن يكون ما تحبُّ أحبَّ إليَّ من أن يكون ما أُحب".

(كتاب المحتضرين: صـ ١٢٥) و(تاريخ دمشق: ١٠٢/١٥)

موت العلاء بن زياد العدوي ﷺ

عن زهير بن أبي عطية قال:

لما احتضر العلاء بن زياد العدوي بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحبُّ أن استقبل الموت بالتوبة، قال: فافعل رحمك الله، قال: فدعا بطهور، فتطهَّر، ثم دعا بثوب له جديد، فلبِسَهُ، ثم استقبل القبلة فأوما برأسه مرتين، أو نحو ذلك، ثم اضجع فمات"

رحم الله مَن بكى حتى عشى، رحم الله مَن كانت آخر أعماله قبل موته الصلاة.

موت محمد بن المنكدر ﷺ

كان أبو عبد الله محمد بن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الربانيون، من سادات القرَّاء، البَكَّاء طيلة عمره، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ فماذا فعل البكاء عند الموت؟ يقول عبد الرحمن بن زيد: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت؟ فقال: يا أبا عبد الله، لكأني أراك قد شق عليك الموتُ؟! فمازال يُهوِّن عليه الأمر، ويتجلى عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح، ثم قال له محمد: لو ترى ما ألاقيه لقرَّت عينُك، ثم قضى ﷺ".

("حلية الأولياء":١٤٧/٣) (كتاب المحتضرين: صـ ١٧١)

موت محمد بن واسع ﷺ

عن الربيع بن صُبيح قال:

"لما احتضر محمد بن واسع، جعل إخوانه يقولون له: أبشر يا أبا عبد الله، فإنا نرجو لك، فبكى ثم قال: يُذْهَب بي إلى النار أو يعفو الله، فجعل يقول: مرحباً بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال فضالة بن دينار: وكان ممَّن شهد موته، وشممت رائحة طيبة لم أشم مثلها، قال فضالة: ثم شخص ببصره فمات"

موت صفوان بن سُليم ﷺ

عن ابن أبي حازم: أن صفوان بن سليم لما حُضِر، حضره إخوانه، فجعل يتقلَّب، فقالوا: كأن لك حاجة؟ قالوا: نعم. فقالت ابنته: ماله من حاجة، قال: نعم، إلا أنه يريد أن تقوموا عنه فيقوم فيُصلِّي، وما ذاك فيه، فقام القوم عنه، وقام إلى مسجده، فصلَّى، فوقع، فصاحت ابنته، فدخلوا عليه، فحملوه، ومات".

(كتاب المحتضرين: صـ ١٦٩)

موت مجاهد بن جبير ﷺ

يرحم الله أبا الحجاج المخزومي المكي مجاهد جهبذ المفسرين القائل: "عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.

قال الفضل بن دُكين: مات مجاهد وهو ساجد، أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ومَن كان بحالة لقي الله بها، ويحشر العبد على ما مات، وهكذا موت من خالط القرآن لحمه ودمه"

موت ثابت البناني ﷺ

جاء في "كتاب السير" (٥/٢٢٠) عن مبارك بن فضالة قال:

"دخلت على ثابت فقال: يا إخوتاه، لم أقدر أن أُصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم، ولا أنزل إلى أصحابي فأذكر معهم، اللهم إذ حبستني عن ذلك فلا تدعني في الدنيا ساعة، فمات الصوَّام القوَّام الذي تمنَّى العبادة في البرزخ، فكان يقول: اللهم إن أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطينيها".

(حلية الأولياء:٢/٣١٨)

مات العابد الربَّاني وهو يقرأ القرآن، ويقول محمد بن ثابت البناني: ذهبت أُلَقِّن أبي عند الموت، فقال: يا بني خلِّ عني فإني في وردي السابع، كأنه يقرأ ونفسه تخرج".

(صفة الصفوة: ٣/٢١٣)(حلية الأولياء:٢/٣٢٢)

موت عامر بن عبد الله بن الزبير ﷺ

قال مصعب: سمع عامرٌ المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه، فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة، ثم مات"

موت ربعي بن حراش العبسي ﷺ

جاء في "السير" (٤/٣٦١) عن الحارث الغنوي قال:

آلى ربعيّ بن حراش أن لا تفترّ أسنانه ضاحكاً، حتى يعلم أين مصيره، قال الحارث: فأخبر الذي غسَّله أنه لم يزل مبتسماً علي سريره ونحن نُغَسِّله، حتى فرغنا منه ﷺ"

وكذا قال: عبد الله بن المبارك كما سيأتي.

موت حسان بن أبي سِنان ﷺ

يقول مهدى بن ميمون: رأيت حسان بن أبي سِنان في مرضه، فقيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين، أحيي ما بين طرفيها"

(حلية الأولياء: ٣/١١٧)،(صفة الصفوة:٣/٣٣٨)

وعن غاضرة بن قرهد قال:

دخلنا على حسان بن أبي سِنان وقد حضره الموتُ، وقال له بعض إخوانه: كيف تجدك؟ قال: أجدني بحال الموت، قال: أفتجد له أبا عبد الله كرباً شديداً؟ فبكى ثم قال: إن ذلك (هو كائن) ثم قال: ينبغي للمؤمن أن يُسَلِّيَه عن كرب الموت وألمه ما يرجو من السرور في لقاء الله"

(كتاب المحتضرين: صـ ١٥٢) و(الثبات عند الممات: صـ ١٥١)

موت بشر بن منصور ﷺ

قال عبد الأعلى بن حماد البرقي:

"دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت؛ فرأيته مستبشراً، فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أَخْرُجُ من بين الحاسدين، والباغين، والمغتابين، وأُقْدِمُ على رب العالمين، ولا أفْرحُ!

موت أبي عمران الجوني ﷺ

يقول جعفر الضبعي: "شهدت أبا عمران الجوني وهو في الموت، فدخل عليه أيوب السختياني، فقال: لابنه، لَقِّن أباك لا إله إلا الله، فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟ قال: قال: لَقِّن أباك، قال أبو عمران: يا أيوب، إنها أمامي، لا أعرف غيرها"

(كتاب المحتضرين: صـ ٢٠٩)

موت عبد الله بن عامر الأسلمي المدني ﷺ

عن ابن أبي حازم قال: "لما نُزل بعبد الله بن عامر بن عبد الله بن أوس، بكى فاشتد بكاؤه، فأرسل أهله إلى أبي حازم أن أخاك قد جزع عند الموت، فَأْتِهِ فَعَزِّه وصَبِّرْهُ، قال ابن أبي حازم: فأتيته مع أبي، فقال له أبي: يا ابن عامر، ما الذي يبكيك؟ فوالله ما بينك وبين أن ترى السرور إلا فراق هذه الدنيا، وإنَّ تبكي منه للذي كنت تدأب له وتنصب، فأخذ ابن عامر بجلدة ذراعه، ثم قال: يا أبا حازم، ما صبر هذه الجلدة علي نار جهنم؟ فخرج أبي يبكي لكلامه، وأُذِّنَ لصلاة الظهر، فقام يريد المسجد، فسقط، وتُوفِّي وهو صائم، ما أفطر".

(كتاب المحتضرين: صـ ١٦٨)

موت عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين الإمام المجدد ﷺ

يحكى ليث بن أبي رقية عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: "أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصَّرت، ونهيتني فعصيت، ثلاثاً، ولكن لا إله إلا الله، ثم أحدَّ النظر، وقال: إني لأري حضرة ما هم بإنْس ولا جنّ، ثم قُبِض" وكان يقول قبل موته: رِّبي خير مذهوب إليه"

موت الأعمش ﷺ

قال جابر بن نوح: "بكى الأعمش عند موته، فقيل له: يا أبا محمد، وأنت تبكي عند الموت؟ قال: وما يمنعني من البكاء وأنا أعلم بنفسي؟!

رحمك الله من إمام تقول هذا، وما فاتتك التكبيرة الأولي قريباً من سبعين سنة، وأنت أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث.

موت أبو زرعة الرازي ﷺ

قال أبو جعفر التستري: "حضرنا أبا زرعة، وكان في سياق الموت، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، ***وقوله*** ﷺ: **"لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله"** فاستحيوا من أبي زرعة، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، ***فقال محمد بن مسلم:*** ***"حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح***، ولم يُجاوز، والباقون سكوت، ***فقال أبو زرعة وهو في سياق الموت: "حدثنا بندار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، عن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله*** ﷺ: **"مَن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجَنَّة"**، فلما انتهى من الحديث قُبِض ﷺ"

(الثبات عند الممات: ص١٦١)

موت يزيد بن أبان الرقاشي ﷺ

يقول حوشب بن عقيل: "سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره الموت: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[آل عمران:١٨٥] ألا إن الأعمال محضرة والأجور مكملة، ولكل ساع ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت، ثم بكى، وقال: يا مَن القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار والجنة غداً مورده، ماذا قدَّمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لموقفك بين يدي ربك"

(تهذيب الكمال:٣٢/ ٧١)، (كتاب المحتضرين: صـ ١٤٥)

وعن دُرست القزاز قال: "لما احتُضر يزيد الرقاشي بكى، فقيل له: ما يبكيك – رحمك الله –؟ قال: أبكي والله علي ما يفوتني من قيام الليل، وصيام النهار،ثم بكى وقال: مَن يُصلِّي لك يا يزيد؟ ومَن يصوم؟ ومَن يتقرَّب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومَن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويْحَكُم يا إخوتاه، لا تَغْتَرُنَّ بشبابكم، فكأن قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر، وشدة كرب الموت، النجاء النجاء، الحذر الحذر يا إخوتاه، المبادرة – رحمكم الله –

. النجاء والنجاة: بمعنى واحد.

موت خالد بن مَعْدان (شيخ أهل الشام ﷺ)

عن عبدة بنت خالد قالت: "قلَّما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلي أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يُسمِّيهم، ويقول: هم أَصْلِي وفَصْلِي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فعجِّل رب قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك،

قال يزيد بن هارون: مات خالد بن معدان وهو صائم، وكان ﷺ يُسبِّح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما كان يقرأ من القرآن، فلما مات وُضِعَ علي سريره ليُغَسَّل فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح".

(السير: ٤/ ٤٠، وإسناده منقطع) و(هو في الحلية:٥/ ٢١٠) و(عند ابن عساكر: ٥/ ٢٦٠ ، بطريق أخرى).

موت عليّ بن صالح بن حي

قال عبد الله بن موسى: سمعت الحسن بن صالح يقول: لما احتُضر أخي رفع بصره، ثم قال: { مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً} [النساء:٦٩]

ثم خرجت نفسه، فنظرنا، فإذا ثقبٌ في جنبه قد وصل إلى جوفه وما علم به أحد

موت أبو بكر بن عيّاش ﷺ

قال الحماني: "لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال: لا تبكِ انظري إلى تلك الخزانة، أو الزاوية التي في البيت، قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة"

(الحلية:٨/٣٠٤) و(تاريخ بغداد للخطيب: ١٤/٣٨٣) و(صفة الصفوة: ٣/١٦٦)

وعن إبراهيم بن أبي بكر بن عيَّاش قال: "بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة، فقال: ما يبكيك؟ أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة".

موت عبد الله بن المبارك – الإمام المبارك -

قيل: "فتح عبد الله عينيه عند الوفاة فضحك، وقال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ} [الصافات:٦١] ،

وكذا قال شيخ القرآء أبو بكر النقاش، وأبو بكر النيسابوري، وربعي بن حراش العبسي

موت الإمام الشافعي شمس الدنيا ﷺ

عن ابن خزيمة وغيره قال: حدثنا المزني قال: "دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه: وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفراقاً، ولسوء عملي ملاقياً، وعلى الله وارداً، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأُهَنِّيها، أو إلى النار فأُعَزِّيها، ثم بكى، ***وأنشأ يقول:***

ولما قسى قلبي وضاقتْ مذاهبي	جعلتُ رجائي دُون عفوِكَ سُلَّما
تعـاظَمَنـي ذنبـي فلمـا قَرنتُه	بعفوك ربِّي كان عفوُك أعظَمَا
فما زِلْتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل	تجـودُ وتعْفـو مِنَّةً وتَكَرُّما
ولولاك لم يُغوى بإبليس عـابدٌ	فكيف وقد أغوى صَفِيَّك أدما
وإني لآتي الذنب أعرفُ قَدْره	وأعلم أنَّ الله يعفو ترَحُّما

(صفة الصفوة:٢/١٤٦) و(السير)

موت آدم بن أبي إياس العسقلاني ﷺ

قال أبو علي المقدسي: "لما حضرت آدم بن أبي إياس الوفاة ختم القرآن وهو مُسَجّي، ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، فها أنا أرجوك، ثم قال: لا إله إلا الله، ثم قضى".

(تاريخ بغداد: ٧/ ٢٩)، و(صفة الصفوة:٤/٣٠٨)

موت الحافظ زكريا بن عدي ﷺ

لما احتضر قال: "اللهم إني إليك مشتاق، قال بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومَن زهد فيها أحب لقاء مولاه"

موت أحمد بن خِضْرَوَيه – الزاهد الرباني – ﷺ

يقول محمد بن حامد ﷺ: "كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه، وهو في النزع، فسئل عن مسألة فدمعت عيناه، وقال: يا بني! باب كنت أدقّه منذ خمس وتسعين سنة هوذا يفتح لي الساعة، ولا أدري أنفتح لي بسعادة أم بالشقاوة؟ وأنّي لي بالجواب، وكان قد ركبه من الدَّين سبعمائة دينار، وحضر غرماؤه، فنظر إليهم، وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة، فأدِّ عنِّي، قال: فدق داقٌ الباب وقال: أهذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم! قال: فأين غرماؤه؟ قال: فخرجوا فقضى عنه، ثم خرجت روحه".

(حلية الأولياء:١٠/٤٢) و(الثبات عند الممات: صـ ١٧٠) و(السير:١١/٤٨٨)

موت إبراهيم بن هانئ النيسابوري ﷺ

قال أبو بكر النيسابوري: "حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته، فجعل يقول لابنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر، فقال: يا أبتِ الستر مرفوع، قال: أنا عطشان، فجاء بماء، قال: هل غابت الشمس؟ قال: لا. قال: فرُدَّه (أي الماء) ثم قال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ} **[الصافات:٦١]** ، ثم خرجت روحه وهو صائم"

وفي "صفة الصفوة" أن ابنه قال له: "يا أبتِ رُخِّص لك في الإفطار في المرض في الفرض، وأنت متطوع، قال: أمهل، ثم قال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ} **[الصافات:٦١]** ، ثم خرجت روحه".

(تاريخ بغداد:٦/٢٠٦) و(صفة الصفوة:٢/٤٠١)

موت شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل ﷺ

وهو صاحب كتاب "الفنون" الذي قال فيه الذهبي: "لم يصنف في الدنيا أكبر منه، ***قال ابن الجوزي:*** لما احتضر ابن عقيل بكى أهله، فقال لهم: لي خمسون سنة أُوقِّع عنه فدعوني أتهنى لمقابلته" (المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد:٢/٢٢٩) و(الثبات عند الممات: صـ ١٧٨)

موت الجنيد بن محمد شيخ وقته ونسيج وحده ﷺ

قال أبو بكر العطار: "حضرت الجنيد عند الموت في جماعة لأصحابنا، فكان قاعداً يُصلِّي، ويثني رجليه كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثقل عليه حركتها، فمدَّ رجليه، وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه، فقال: ما هذا يا أبا القاسم، قال: هذه نِعَمْ، الله أكبر، فلما فرغ من صلاته، قال له أبو محمد الحريري: لو اضجعت يا أبا القاسم، قال: يا أبا محمد، هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر، فلم يزل كذلك حاله حتى مات ﷺ "

(حليه الأولياء:١٠/ ٢٨١)، (والثبات عند الممات: صـ ١٦٨)

موت أبي الحسن خير بن عبد الله النساج وهو ممّن صحب الجنيد ﷺ

لما غشي عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من البيت، وقال:

"قف – عافاك الله – فإنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أُمِرتَ به لا يفوتك، وما أُمرتُ به يفوتني، فدعني أمضي لما أُمرتُ به، ودَعَا بماء فتوضأ للصلاة، ثم صَلَّى، ثم تمدَّد وغمض عينيه وتشهَّد فمات، فرآه بعض أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسأل عن هذا ولكن استرحت من دنياكم". (تاريخ بغداد: ٨ /٣١٧)، و(الحلية:١/٣٠٧) و(صفة الصفوة:٢/٤٥٣)

موت الحافظ بن منده

الإمام الذي قال عنه أبو نعيم الأصبهاني: كان جبلاً من الجبال ﷺ

قال الباطِرقاني: "وكنت مع أبي عبد الله في الليلة التي تُوفِّي فيها، ففي آخر نَفَسِه قال واحد منا: "لا إله إلا الله – يريد تلقينه – فأشار بيده إليه دفعتين ثلاثة، أي: اسكت. يقالُ لي مثل هذا" (السير)

موت شيخ الشافعية ابن الإسماعيلي إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم

تُوفِّي سنة ست وتسعين وثلاثمائة، فتُوفِّي إكراماً من الله له في صلاة المغرب، وهو يقرأ:

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥] ففاضت نفسه ﷺ " (السير:١٧/٨٨)

موت أبو حامد الغزالّي ﷺ

قال أخوه أحمد: "لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد، وصلَّى، وقال: عليّ بالكفن، فأخذه وقبَّله، وتركه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مدَّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار".

(الثبات عند الممات: صـ ١٧٨- ١٧٩)

موت أبي بكر بن حبيب ﷺ

يقول عنه ابن الجوزي تلميذه: "لما احتضر أبو بكر حبيب، قال له أصحابه: أَوْصِنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله ﷻ، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه: انظر هل ترى جبيني يعرق؟ قال: نعم، فقال: الحمد لله هذه علامة المؤمن، يريد بذلك قول رسول الله ﷺ: "المؤمن يموت بعرق الجبين "

ثم بسط يده عند الموت، ***وقال:***

ها قد مددتُ يدي إليك فردَّها بالفضل لا بشماتة الأعداء

(الثبات عند الممات: ١٧٩-١٨٠)

موت الإمام الزاهد عبد الأوّل أبو الوقت السجزي ﷺ

قال ابن الجوزي ﷺ: كان صبوراً على القراءة، وكان صالحاً كثير الذِّكْر والتهجُّد والبكاء، وعلى سمت السلف، وعزم عام موته على الحج، وهيَّأ ما يحتاج إليه فمات، وهو آخر مَن روى عن الداودي" قال ابن الجوزي: حدثني أبو عبد الله التكريتي: لما احتضر عبد الأول أسندته إليّ فكانت آخر كلمة قالها: {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ{٢٦} بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}

[يس:٢٦-٢٧]

موت الإمام المُحدِّث ثقة الدين أبو القاسم بن عساكر مُحدِّث الشام

وهو الحافظ صاحب تاريخ دمشق، لا يُلحق شاؤه، ولا يشقه غبار، ولا كان له نظير في زمانه ***كما قال الذهبى في "السير": "قال أبو شامة: "أخبرني مَن حضره قال:*** "صلَّى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، وتوضَّأ، ثم تشهَّد وهو جالس، وقال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، لقنني الله حُجَّتي، وأقالني عثرتي، ورحم غربتي، ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرت الملائكة ثم انقلب ميتاً" (السير)

موت السلطان الفاضل العادل مظفر حليم الكجراتي ﷺ

كان يقتفي آثار السنة السَّنِية في كل قول وفعل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، وكثيراً ما يذكر الموت ويبكى، ***يقول عنه الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه "المسلمون في الهند":*** ومنهم السلطان الفاضل العادل، المُحدِّث الفقيه مظفر حليم الكجراتى، الذي روى عنه التاريخ من نوادر الإخلاص والإيمان، والاحتساب، والتقوى، والعمل بالعزيمة، والعدل، والإيثار، والحمية في الدين، والتبحُّر في العلم، ما يندر وجوده في سير كبار الزُهَّاد والربَّانيين وكبار المخلصين، فضلاً عن الملوك والسلاطين... في آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى المحل واضَّجع إلى أن زالت الشمس، فاستدعى بالماء وتوضَّأ وصلَّى ركعتي الوضوء، واجتمعت النسوة عليه آيسات باكيات حزناً على فراقه لا اجتماع بعده، فأمرهن بالصبر المُؤْذن بالأجر، وفرَّق عليهم مالاً، ثم ودَّعهن واستودعهن الله سبحانه، ثم سمع أذاناً، فقال: أهو الوقت؟ فقالوا: هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة، فقال: أما صلاة الظهر فأُصلِّيها عندكم، وأما صلاة العصر فعند ربي في الجنة إن شاء الله، ثم أذن للحاضرين في صلاة الجمعة، واستدعى مصلاة وصلَّى ودعا الله سبحانه بوجه مقبل، وقلب منيب إليه، دعاء مَن هو مفارق للقصر، مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه: **{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}** [يوسف:١٠١]

وقام من مُصلَّاه وهو يقول: "استودعك الله، واضجع على سريره، وهو مجتمع الحواس، ووجهه يلتفت إلى القبلة، وقال: لا إله إلا الله، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له" (الأعلام:٤/٣١٦)

موت أحد العُبَّاد يحكي عنه يزيد الرقاشي

يقول يزيد الرقاشي ﷺ: "دخلت على عابد بالبصرة، وإذا أهل بيته حوله، فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد، قال: فبكى أبوه فنظر إليه، ثم قال: أيها الشيخ ما الذي يبكيك؟ قال: يا بني أبكي فقدك، وما أرى من جهدك، قال: فبكت أمه فقال: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة: ما الذي يبكيكِ؟ قالت: يا بني أبكي فراقك وما أتعجَّل من الوحشة بعدك، قال: فبكى أهله وصبيانه، فنظر إليهم، ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل ما الذي يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا نبكي فراقك وما نتعجل من اليُتْم بعدك، فقال: أقعدوني أقعدوني ألا أرى كلكم يبكي لدنياي، أما فيكم مَن يبكي لمساءلة مُنْكَر ونكير إيّاي؟ أما فيكم مَن يبكي لوقوفي بين يدي الله ربي؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات".

(صفة الصفوة:٤/١٨)

موت عبد الله بن دارس ﷺ

قال عبد الله بن نصر ﷺ: اعتلَّ بن دارس، وجئنا إليه نعودُه، فأصبنا عنده يحيى بن عمر، وحمديس القطان، وجبلة، وأكابر أصحاب شَحْنَون، هؤلاء قعوداً عند رأسه، وهو مسجى إلى القبلة، ودموعه تنصب، فقال: له يحيى بن عمر: أصلحك الله ما الذي أبكاك؟ فقال: والله ما بكيت خوفاً من الموت، لأنه كأس لابد منه، ولا بد من قدومي على الله ﷻ لأني أقدم على كريم رحيم، ولا بكيت إلا على تمتُّعكم بعدى بتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النهار، والتهجُّد والتبتُّل، وانقطاع عملي، ثم قال لهم: إن لي إليكم حاجة، هذه الجبة الصوف والكساء، ختمت فيها القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلاً ونهاراً، كَفِّنُونِي فيها، وهذه الحُصْرُ كنتُ أسجد عليها في سواد الليل، اجعلوها معي في لحدي، وقليل من الشعير تصدَّقوا به، وهذه السطحية (المزادة) والله ما خلفت شيئاً يسألني الله عنه غير هذا، ثم أسأل الله الاجتماع معكم على الحوض مع النبي ﷺ وأصحابه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم قضي ﷺ".

(رياض النفوس للمالكى:١/٤٨٠)

موت أبي بكر مسلم الحضرمي ﷺ

لما احتضر أبو بكر ابتدأ القرآن **فانتهى في سورة طه إلى قول الله تعالى:**

{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}[طه:٨٤] ففاضت نفسه ﷺ وذلك سنة ثلاثة وسبعين وثلاثمائة.

(ترتيب المدارك:٦/٢٧١)

قتيل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان

كان صالح المري في مجلسه، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى، **فقرأ الفتى قول الله تعالى:** {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}[غافر: ١٨]

فقطع صالح عليه القراءة، وقال: "كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟

إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يُساقُون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم، حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم، ذائبة أجسامهم، ***ينادون:*** يا ويلنا يا ثبورنا ما نزل بنا؟! ماذا حلَّ بنا؟! أين يُذهَب بنا؟ ماذا يُرَاد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يُجَرُّون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يُقادُون إليها مقرنين، ومن بين باكٍ دماً بعد انقطاع الدموع،

ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت، إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هولِهِ على قرار قدمك، ثم نَحَبَ وصاح: يا سوء منقلباه وبكى، وبكى الناس

فقام فتى من الأولاد فقال: "أكل هذا في القيامة يا أبا بشر؟ قال: نعم والله يا ابن أخي وما هو أكثر، لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنق، فصاح الفتى: إنا لله، واغفلتاه عن نفسى أيام الحياة، وأسفاه على تفريطي في طاعتك يا سيداه، وَاأَسَفَاه على تضييعي عمري في دار الدنيا، ثم بكى واستقبل القبلة، وقال: اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة، لا يخالطها رياء لغيرك، اللهم فاقبلني على ما كان فيّ، واعفُ عمَّا تقدَّم من فعلي، وأقل عثرتي، وارحمني ومَن حضرني، وتفضَّل علينا بجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي، وإليك أَنَبْت بجميع جوارحي، صادقاً لذلك قلبي، فالويل لي إن لم تقبلني، ثم غُلب فسقط مغشيًّاً عليه، فحُمل بين القوم صريعاً، فمكث صالح وإخوته يعودُونه أياماً، ثم مات والحمد لله، فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له، فكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه، ***فيقول:***

وبأبي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والأحزان". **(مشاهد الناس عند الموت: صـ ٩٩)**

وهكذا يرحل الربَّانيون إلى ربهم، تعطَّرت الدنيا بأريج حديثهم، وعبادتهم، وصدقهم... والله لولا أن القلوب توقن بلقياهم؛ لتفطَّرت المرائر (جمع مرارة) لفراق الصالحين الربانَّيين.

جاء في "ذيل طبقات الحنابلة" لابن رجب (١/١٦٥) عن ابن عقيل ﷺ أنه قال:

"وإنما هون فقداني للسادات نظري إلى الإعادة بعين اليقين، وثقتي إلى وعد المبدىء لهم، فلكأني أسمع داعي البعث قد دعا، كما سمعتُ ناعيهم وقد نعى.

حاشا المبدىء لهم على تلك الأشكال والعلوم أن يقنع لهم من الوجود بتلك الأيام اليسيرة المشوبة بالتنغيص وهو المالك، لا والله، لا قنع لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه: نعيم بلا ثبور، وبقاء بلا موت، واجتماع بلا فرقة، ولذات بغير نغصة".

وأخيراً... وقبل الفِراق أقول: "إذا كان هذا حال الصالحين الأبرار؛ فنحن أجدر بالخوف منهم، ولكننا في دِعَةٍ وأمان لغلبة جهلنا وقسوة قلوبنا؛ ذلك لأن القلب الصافي تُحَرِّكه أدنى مخافة، والقلب القاسي لا تنفع فيه كل المواعظ... فنسأل الله تعالى قلباً خاشعاً، وعيناً باكية، ولساناً ذاكراً

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان علي إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لاعيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك